



في كل أسبوع بل في كل يوم يحفل المشهد السوري بآلامه وأماله بأحداث جسام وعظام من حيث الواقع المؤلم الحزين الذي جعل البلاد الفردوسية سعيلاً لا يطاق لظاتها ولا يمكن للإنسان الحر صاحب الضمير إلا أن يصرخ عالياً من هول المصيبة التي ابتلي بها شعب الشام بهذه العصابة الأسدية ومن يساندها من أكابر مجرمي هذا العصر بمن فيهم الذين لا يوقفون هؤلاء عند حدتهم ويدعون صداقتنا، وكذلك المجالس والهيئات الدولية المستقطبة حثماً للشرق والغرب ويمثلها وسوها مجلس الأمن والأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان ومحاكم العدل الدولية..

كلها أثبتت إخفاقها وعجزها عن حل الأزمة لسبب واضح في نظرنا وهو أنها لا ت يريد الحل ولا تقبل بإدارته بصدق صوناً لمدللتهم إسرائيل وحافظاً على مصالحهم الكبيرة الظاهرة منها والخفية، ولذا فإنني أعتذر كل شاك بل باك حال أهلنا في الشام، أو ليس هذا إنساناً له قلب وشعور كما يجب أن يكون للبشر جمیعاً..

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة *** ولكن تفیض العین عند امتلأها

أو كقول جحظة البرمكي وكأنه معنا ينصحنا:

لا تدعن للزمان صديقاً *** وأعد الزمان للأصدقاء

أما من حيث ما نحسه ونشاهده من آمال عظام تمثل في انتصار الثوار ومسانديهم في مظاهر عديدة مختلفة على طول سورية وعرضها من دمشق ودرعاً وريفها إلى إدلب واللاذقية وحمص وحماء والريف وغيرها وخصوصاً

أمس حيث أعلن الأحرار عن تحرير مدينة معرة النعمان مسقط رأس أبي العلاء المعربي بعد معارك شرسة انتهت بدمir الحواجز العسكرية للظالمين ودحرهم..

إن هذه التحولات كلها وما سبقها وما يعد اليوم وفي المستقبل الواعد لتدل دلالة واحدة أن رأس الطغيان لابد أن يتحطم قصر الزمن أو طال فالعبرة بالخواتيم والمالات ولن يكون بمقدرة الجبارية، أن يصمدوا طويلاً أما ضربات الحق المدوية رغم الفرق الكبير في العدة والعتاد وهذا ما أصله لنا القرآن الكريم والسنة وذكر به أمير الشعراء شوقي:

قوة الله إن تولت ضعيفا*** تعبت في حراسة الأقواء

أي الطغاة الفراعنة الذين هم مع ادعائهم بأن من يعارضهم قليل إلا أنهم يخافون من صولاتهم كقول فرعون وملئه عن موسى عليه السلام ومن معه (إنا لجميع حاذرون) بعد قوله عنهم (إن هؤلاء لشراذمة قليلون، وإن لهم لغائظون) الشعراe 54-56 وبعد اتهامهم بأن خروجهم ضد مؤامرة كما هي اليوم المؤامرة المزعومة على سوريا الأسد المقاوم الممانع زورا وبهتانا. ومع هذا الوضع المشكل بآلامه وآماله اليوم فإن كل الحكماء والعلماء من مخضرمي السياسة بمفهومها الحقيقي الذي يعني حسن التدبير يجب أن يحكموا الشرع والقانون والعقل الذي هو أصل فيما ويفيدوا من عبر التاريخ فإنه الكاشف الحقيقي والمشخص النطاسي الذي لا ينطلق من العنجوية والفتوية ويغلب خطاب العقل على خطاب الحماقة والسعى للغلبة ولو على حساب تدمير سوريا وأهلها دون رادع من إنسانية أو ضمير فإن الله لا يصلح عمل المفسدين.

وهنا قد يكون من المناسب أن نذكر أن العلامة ابن الجوزي قال: إن العقل أصل الشرع أي أنهما لا يتعارضان ولكن الغاية بينهما كما حرر العلماء أن العقل نبراس للشرع، وأن الشرع عصمة للعقل، وإن كان المعربي يعتبر مبالغًا في الاعتماد على العقل ربما وحده كما يرى البعض في قوله:

كذب الظن لا إمام سوى العقل *** مشيرا في صبحه والمساء

وإن كان في البيت نفسه ما يدل على ان اعتباره المؤكّد للعقل إنما جاء في مقابل ذم الظن وهذا فالعقل مرشد حكيم في لجة الشبه البهيمة والخطوب الجسيمة فهل سيستطيع الأخضر الإبراهيمي المبعوث الدولي والعربي لحلحلة الأزمة أن يتعامل مع العقل الوعي بعد اعتماده على القانون الذي لن يحل هذه العقدة ربما إلا بعد أن يهلك الحرج والنسل، وهل يستطيع أن يثبت على الطلب والمتابعة للمجتمع الدولي أن يكون قراره ملزماً لحكومة دمشق أم أن قواعد اللعبة إقليمياً ودولياً ستضع له دوماً العصي في العجلات.

أم أنهم ربما تشكل لهم بعض الجد في التعامل مع المشهد اليوم بعد أن أدركوا أن الثورة في كل يوم تقتل القلائع المزعومة عند النظام برا وجوا وأنها تفرض واقعاً حقيقياً على الأرض فلابد للمجتمع الدولي أن يقترح شيئاً لذر الرماد في العيون وهو ربما يكون المعروض الذي يقترحه الإبراهيمي بإيقاف ثلاثة آلاف جندي لقوة حفظ السلام لوقف العنف في سوريا يشترك فيه المجتمع العربي والدولي، تمهدأ حل ترقيعي ربما ترضى به بعض الأطراف وإن كان لا يلي طموحات الشعب الأبي وذلك غراراً على ما حدث في البوسنة والهرسك، حيث إنه لما وجد المجتمع الدولي تفوق القوات البوسنية أمام الصرب والكردات أسرعوا إلى اتفاقية دايتون التي سبقت بتمهيدات ربما بعضها ما قد سيجري في سوريا.

ولكننا نقول أولاً وآخيراً: إن هذه العصابة التي لم توفر طيفاً ولواناً وطائفية من الشعب السوري إلا قتلته وعذبتها وسجنته واعتنت على حرماته .

وهذا يجب ألا ننسى ما حدث ويحدث في منطقة القرداحة مسقط آل الأسد من معارضات ومظاهرات واستباكات وضحايا وما تزال الأمور تنذر بالتلوّع إن هؤلاء المجرمين يجب ألا يستمرّوا في حكم سوريا أبداً لأن هذا المجتمع الدولي الذي يدعو

إلى استقرار البلاد وعدم تهديدها للسلم الأهلي المحلي والإقليمي والدولي إن كان صادقاً فلا عليه إلا أن يحزم أمره كما حزمه في العديد من الأحداث المشابهة وإنما على عصابة الأسد وإنما على هذا المجتمع نفسه بوجه أو آخر وإن بعض ما يقدمه لوجستياً باسم الثورة داعم لتقويضها بل تقويتها بإزاء الترسانة الهائلة لحكومة الباطل وما يضاف إليها من اسنادات حاقدة.

إن صوت العقل قد غاب كثيراً وان الرحمة قد عدلت فمتى يتم إصلاح الخلل مع أن الكل أصبح يشاهد أن الأسد الذي يخيف بالزئير انتقل إلى النباح والهرير وما زال على أشد حمه فكيف الدواء يا سيد إبراهيمي أما قرأت قول صالح عبد القدس..

وبعض الداء ملتمس شفاه ** وداء الحمق ليس له دواء يا إبراهيمي: في اللغة السريانية إبراهيم يعني الأب الرحيم فكن مثله رحيمًا وإنما فاعذر كي يرحمك التاريخ ولا تقف محايده أمام هذه المجازر والفتائع استجب لنداء الله والوطن ولا تكن مع البعض مثل حاطب ليل، أو مخلب للذئاب.

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: